أوراق إستراتيجية

الحرب المقبلة مع حزب الله

بقلم أمير كوليك؛ التقييم الإستراتيجي؛ كانون الأول 2007

إنّ الحرب، بطبيعتها،حدث مشكِّل. فغالباً عندما تبدأ الحروب تصل عمليات مختلفة الى نهاياتها ويتم إستبدالها بأخرى جديدة. وحرب لبنان الثانية ليست إستثناء. إذ كان للحملة التي حدثت في لبنان وعلى الجبهة الإسرائيلية الأمامية وقعاً عميقاً على الجانبين الإسرائيلي واللبناني. فالنتائج الوطنية، السياسية، العسكرية والإجتماعية للحملة واضحة في كل من إسرائيل وعلى الجانب الآخر من الحدود. وتحلل هذه المقالة تأثير الحرب على عقيدة حزب الله العسكرية، كما تقوم بمراجعة عملية إعادة تأهيله على مدى العام الماضي. بالإضافة الى ذلك، تحاول المقالة تحديد خصائص الحملة المقبلة على المسرح اللبناني وأهميتها بالنسبة لقوات الدفاع الإسرائيلية وإسرائيل.

عقيدة حزب الله العسكرية قبل الحرب

منذ نهاية عملية عناقيد الغضب في نيسان 1996 وصولاً الى إندلاع الحرب في تموز 2006، إستعد حزب الله، بمساعدة وثيقة من إيران، لحملته التالية مع إسرائيل. وقد بنى حزب الله قوته العسكرية بناءً على فرضيات عديدة تم إستخلاصها من الحملات السابقة، كما من تطورات عسكرية وسياسية مختلفة حصلت على مدى السنوات. وقد إعتمدت عقيدة المنظمة العملانية على فرضية تقول بأنّ المجتمع الإسرائيلي ضعيف وعاجز عن إستيعاب عدد كبير من الضحايا. وإعتقد حزب الله بأنّ هذا الضعف قاد جيش الدفاع الإسرائيلي الى الإنسحاب من المنطقة الأمنية في أيار 2000، كما عبر عن ذلك نصر الله في خطاب النصر في 26 أيار 2000 في بنت جبيل، حيث قارن قوة المجتمع الإسرائيلي وجيش الدفاع الإسرائيلي ببيت العنكبوت.

ولإستغلال نقطة الضعف المفهومة هذه، كان هدف حزب الله العملانية الرئيسي هو القيام بحرب إستنزاف ضد الجبهة الإسرائيلية الأمامية. وإعتقد حزب الله بأنّ زعزعة قدرة إسرائيل على التعافي من هذه الحرب سيقود، بحكم الظروف، الى نهاية للقتال بشروط تكون لصالح المنظمة. ويبدو بأنّ الفرضية العاملة الرئيسية لقيادة حزب الله، التي صيغت خلال جولات قتال سابقة ضد جيش الدفاع الإسرائيلي، كانت تقول بأنّ إسرائيل ستحصر نفسها بإستخدام ضخم للقوة الجوية وبعمليات برية محدودة لمكافحة تهديد صواريخ حزب الله. وشكلت هذه الفرضية بدورها تصميم تخطيط قوة المنظمة العسكرية. لقد إستثمر حزب الله معظم جهوده بجمع وحشد نظام صاروخي واسع بمدى يصل الى أكثر من 100 كلم، بظل فرضية أنّ إسرائيل لن تقوم بعمليات برية مهمة جنوب نهر الليطاني. وكانت معظم الكتلة الإجمالية العملانية للمنظمة، بما فيها نظام سري من الأنفاق والتحصينات وأنظمة مضادة للدبابات والمشاة محدودة نسبياً– بالإضافة الى مروحة من مجموعات الصواريخ– مركزة في هذه المنطقة.

عقيدة حزب الله العسكرية قيد الممارسة

وضعت حرب لبنان الثاني عقيدة حزب الله العملانية وفرضياته المحددة قيد التجربة. ومن تصريحات مختلفة لنصر الله، من الواضح أنّ توقيت القتال وكثافته جاء بمثابة المفاجأة لقيادة المنظمة. وفي نفس الوقت، أثبت المنطق العملاني الذي كان يوجه حزب الله بأنه صحيح عسكرياً. فمن بداية القتال نفسها، حافظ حزب الله على قصف مستمر للحدود الإسرائيلية لتعرية الجبهة الإسرائيلية الأمامية. وكما توقع حزب الله، رد جيش الدفاع بقوة جوية ضخمة. ولم يتم إدارة إلا قلة من العمليات البرية فقط، التي كانت وبشكل رئيسي، قريبة من الحدود. كما أثبت إنتشار المنظمة العملاني في جنوب الليطاني عن نفسه أيضاً، بما أنّ جيش الدفاع لم يقم بعمليات برية تتجاوز هذه المنطقة سوى في حالات قليلة. أما في نهاية القتال، فقد كان حزب الله مكشوفاً أمام عملية من مستوى كبير تضمنت عدداً من القوات البرية وقوات أخرى المنقولة جواً قرب الليطاني. ومع ذلك كان الأمر متأخراً جداً ليثمر عن أي تأثير حقيقي على حملة المنظمة.

من الواضح أنّ تصريح حزب الله المتوازن مع نهاية القتال كان مختلطاً. فسياسياً، وبالرغم من جهوده لإبراز الحملة على أنها "نصر إلهي"، نالت المنظمة إنتقاداً شديداً في الداخل على أفعالها. علاوة على ذلك، كان قسم كبير من بنيتها التحتية العسكرية متضرراً. فنظام أنفاقها السرية في منطقة الحدود كان مكشوفاً وتم تدميره جزئياً. كما تم إستئصال مجموعة مراكز المنظمة الدفاعية الحدودية والتخلص من قبضتها الممسكة بالمنطقة تماماً تقريباً. كما دمِّر أيضاً قسم كبير من نظام صواريخها المتوسطة المدى (صواريخ فجر وصواريخ 220 ملم و320 ملم). علاوة على ذلك، دُكَّت منطقة الضاحية في بيروت، مركز العصب التنظيمي، العسكري، والسياسي للمنظمة. أما إذا لم يكن هذا كافياً،فقد تكبدت الجماهير الداعمة لحزب الله، ومعظمها متمركز في جنوب لبنان، خسائر شديدة في الأملاك والأفراد. ومن المرجح أيضاً أن تكون عناصر في القيادة الإيرانية قد إنتقدت حزب الله عندما إنجرّ الى مواجهة عنف سابقة لأوانها مع إسرائيل كشفت عن قدراته الإستراتيجية، تحديداً بما يتعلق بإطلاق الصواريخ بإتجاه العمق الإسرائيلي.

ومن جهة أخرى، بإمكان المنظمة إدعاء النجاح بما يتعلق بعقيدتها العملانية. فقواتها تسببت بخسائر عديدة لجيش الدفاع في حرب محلية. علاوة على ذلك، لم يوقف حزب الله مطلقاً قصفه للجبهة الإسرائيلية الأمامية، حتى في مواجهة النشاط الجوي الهائل. وقد أثبتت توقعات المنظمة المنطقية بأنها صحيحة ايضاً، مع نجاحها بالمحافظة على مخزون كبير من الذخائر، ما مكّن جنود حزب الله من ضرب إسرائيل بعدد كبير من الصواريخ خلال كل مرحلة من مراحل القتال (بمعدل إطلاق 150–200 صاروخ يومياً). ومن منظور المنظمة، أدت هذه الأنشطة الى تقريب نهاية القتال كما أحدثت صدمة شديدة "للكيان الصهيوني". أما من موقع الإستشراف هذا، فقد كان التوازن العملاني إيجابياً.

وفي نفس الوقت، ظهر عدد من نقاط الضعف في تحضيرات حزب الله العملانية. أول هذه النقاط كان نجاح جيش الدفاع الإسرائيلي في تدمير ممتلكات وذخائر المنظمة الإستراتيجية– أنظمة صواريخها المتوسطة والطويلة المدى. هذا التدمير السريع نزل نزول الصاعقة على هذا النظام. كما أنّ تدمير صواريخ زلزال في بيروت التابعة لحزب الله (وهو صاروخ بمدى يصل الى 200 كلم) في الساعات الأولى من القتال بدا بأنه كان مؤلماً بشكل خاص. أما نقطة ضعف حزب الله الثانية، فقد كانت على الأرجح اللياقة المتدنية لوحدات الحماية الخلفية. فخلال القتال، ضرب جيش الدفاع مراكز المنظمة في بعلبك في سهل البقاع، ونفذ عمليات عديدة للقوات الخاصة في المنطقة. وكانت هذه المنطقة تعتبر منطقة المسرح اللوجستي الرئيسي لحزب الله ومعقلاً شيعياً أساسياً له. وقد كان تسريح قائد الوحدة المناطقية المسؤول عن الأمن هناك يعود لتلك الخلفية على الأرجح. كما كشفت إستعدادات في وحدات خلفية أخرى زلات وهفوات مختلفة. بالإضافة الى ذلك، وعلى المستوى التكتيكي، برهنت قاذفات الصواريخ المتعددة الأسطوانات (قاذفات 220 ملم بمعظمها) عن قدرة هزيلة على الإستمرار. وبحسب تقارير لسلاح الجو الإسرائيلي، فإنّ معظم القاذفات التي أطلقت وابلات الصواريخ على إسرائيل قد تم تدميرها بعد وقت قصير من عمليات الإطلاق.

وقد تأثرت عقيدة حزب الله العملانية منذ الحرب بمكوِّنين رئيسيَيْن: الدروس المستخلصة من الحرب، والواقع الجديد في جنوب لبنان عقب إنتشار القوات اللبنانية المسلحة وتعزيز اليونيفيل في المنطقة. وكان حزب الله يأخذ هذين العاملين في الحساب عندما كان يعمل على إعادة بناء قواته في خطوات متسارعة منذ الحرب، وهي عملية مستمرة من دون تدخل كبير، عدا إستثناءات منفردة أخرى. فنقل الأسلحة والتجهيزات الى المنظمة بكميات كبيرة من قِبَل سوريا وإيران أسبوعياً هو مساهمة كبرى في عملية بناء قوات حزب الله وإعادة تأهيله العسكري.

الواقع الجديد في جنوب لبنان

مرر مجلس الأمن الدولي في **11** آب **2006** ،وبالإجماع، القرار **1701**، الذي أنهى حرب لبنان الثانية. وكان القرار الذي أصبح فعالاً بعد يومين مصمماً لخلق واقع جديد في لبنان، وتحديداً في الجنوب. وفي إطار العمل هذا، كان مقرراً نزع سلاح الميليشيات في البلاد، نشر الجيش اللبناني جنوب الليطاني وزيادة عديد القوات الدولية في المنطقة بشكل ملموس وحقيقي لتعمل كقوة دعم للجيش اللبناني. بالإضافة الى ذلك، تم حظر نقل الأسلحة الى الأفرقاء في لبنان عدا الكيانات الحكومية الرسمية. وكان هذا الحظر يهدف، وبشكل واضح، الى وقف تهريب الأسلحة من إيران وسوريا الى حزب الله.

وإنسجاماً مع القرار، تم نشر قوة كبيرة نسبياً تتالف من حوالي **10,000** جندي لبناني، معززة بأكثر من **12000** جندي من القوات الدولية من بلدان مختلفة. وتقوم هذه القوات بدوريات في الجنوب اللبناني، ومعظمها قرب الحدود الإسرائيلية، كما تقوم من وقت لآخر بكشف مخابئ أسلحة في الجنوب. وفي حالات منفصلة، قام الجيش اللبناني أيضاً بإعتقال عملاء مشتبه بهم. وعموماً، يبدو أن هذا الوجود لقوات كبيرة كهذه في الجنوب يعقد نشاط حزب الله. ولهذا السبب، من المرجح أن يكون هذا الواقع قد أثر على المنظمة بأوجه ثلاث. الأول هو إعادة بناء وتحصين بنيته التحتية (السرية بمعظمها) الموجودة في مساحات مفتوحة قرب الحدود مع إسرائيل. والجانب الثاني هو تنفيذ عمليات ذات خاصية مميزة مثل حفر أنفاق جديدة ووضع ألغام وقنابل مموهة معدة للتفجير. أما الجانب الثالث، فهو المحافظة على وجود عسكري علني على الحدود نفسها. وبذلك، وبحسب أحد التقارير، فقد أجبر وجود الجيش اللبناني والقوات الدولية في الجنوب عملاء المنظمة في المنطقة على التنقل من دون سلاح وبثياب مدنية. وفي نفس الوقت، إنّ وجودهم واضح تماماً في القرى.

وبالإجمال، يبدو أنّ هذا الواقع لم يؤثر في حصول تغيير حقيقي ملموس في عقيدة حزب الله العملانية المتعلقة بحملته المقبلة ضد إسرائيل. ومع ذلك، فقد قاد ذلك الواقع الى عدد من التطورات الهامة:

- **وجود أقل في المناطق قرب الحدود:** لا تزال بعض بنية حزب الله التحتية البرية متروكة، كما أنّ وجوده في مناطق مفتوحة قرب الحدود مع إسرائيل سيكون، بالتأكيد، بمستوى أقل. فمن وجهة نظر إسرائيل، بدأ خط التماس في منطقة مفتوحة يصبح أكثر إبتعاداً. وسيكون على الغارات المحلية (من جانب حزب الله)، وفقاً لذلك، أن تقوم بإختراقات أكثر عمقاً. وعلى كل حال، لقد أصبح من الممكن الآن تخصيص الإهتمام العملاني والإستخباري للتعامل مع مشكلة القرى التي تشكل مصادر قوة العدو النارية في منطقة الحدود القريبة، وترسيخ وجود عسكري بشكل أكثر سرعة وسهولة في مواقع إستراتيجية قرب الحدود.
- **صعوبة في وقف جيش الدفاع الإسرائيلي في المنطقة القريبة من الحدود:** يرجح أن تكون هذه الصعوبة ناشئة من مصدرين رئيسيَيْن: وجود غير منتظم من قِبَل حزب الله على الحدود (عقب تدمير مواقع المنظمة)، الأمر الذي من المرجح أن

يؤدي الى التشويش على عملية جمع المعلومات الإستخبارية للمنظمة في الشمال، وصعوبة في خلق عوائق جديدة ووضع ألغام وقنابل مموهة معدة للتفجير، بسبب وجود الجنود اللبنانيون والدوليون قرب الحدود.

- **تحول في التركيز العملاني الى القرى:** بدلاً من المساحات المفتوحة، حيث من الممكن أن يجد مقاتلو حزب الله صعوبة بالعمل بسرية، ركزت المنظمة على إعادة بناء وتطوير بنيتها التحتية في القرى. وبذلك، فقد بنى حزب الله، بالرغم من وجود قوات دولية كبيرة في جنوب لبنان، بنية تحتية سرية ممتدة وواسعة– معظمها في قرى شيعية– تتضمن عدداً من التحصينات، بعضها مجهز بوسائل إتصالات معقدة.

التطور العسكري لحزب الله ما بعد الحرب

إنّ تكملة تأثير الواقع الجديد في جنوب لبنان هي الدروس التي إستخلصها حزب الله من الحرب والمعلومات التي إنكشفت لاحقاً في إسرائيل. فعقب الحرب، شرع حزب الله بعملية مراجعة منهجية، إكتسب من خلالها تبصراً وحكمة. على كل حال، إن الإفتقار للمعلومات لا يسمح سوى بتعريف جزئي لهذه الدروس. ومن بين هذه الدروس، يبرز مجالان: نظام المدفعية للمنظمة، والقوات البرية (فرق المشاة والمضادة للدبابات).

نظام المدفعية الصاروخية: "أقوى وأعمق"

بالإجمال، يبدو بأنّ حزب الله يعتبر أداء نظام مدفعيته الصاروخية ناجحة. ووفقاً لذلك، ركزت عملية دعم قوة المنظمة في هذا السياق على مجالين إثنين. الأول، تجديد مخزونه من الصواريخ القصيرة المدى (بمدى يصل الى خط حيفا). كما نجح حزب الله، بحسب الظاهر، وبمساعدة هائلة من إيران وسوريا، بإستعادة مخزونه من صواريخ الكاتيوشا في نظامه. وقدرت مصادر سعودية، بعد أشهر قليلة فقط من الحرب، بأنّ كمية صواريخ الكاتيوشا التي يمتلكها الحزب مساوية للعدد الذي كان لديه قبل الحرب. وبشكل مشابه، قدرت مصادر أمنية إسرائيلية عدد صواريخ حزب الله القصيرة المدى بـــ **10,000 – 20,000** صاروخ. وبمعنى آخر: في الحملة المقبلة، سيكون شمال إسرائيل، وصولاً الى خط حيفا– طبرية، عرضة لقصف عدد كبير من صواريخ الكاتيوشا.

أما التركيز الثاني لحزب الله في مجال الدعم العسكري، فهو تجديد ودعم نظامه الصاروخي الطويل المدى. فهذا النظام يهدف الى ردع إسرائيل عن البدء بأعمال عدائية. وما إن تبدأ، منعها من قصف بيروت. وهناك هدف آخر، هو أن يتألف النظام من سلاح إستراتيجي– وسيلة لمهاجمة "الجزء الضعيف الناعم" من إسرائيل (منطقة غوش دان الوسطى). ففي حرب لبنان الثانية، لم يحقق هذا النظام أهدافه (فهو لم يردع إسرائيل عن إبتداء القتال أو عن تدمير مراكز المنظمة في بيروت، كما لم ينجح حتى في تحقيق أضرار رمزية في منطقة غوش دان). علاوة على ذلك، كان قسم كبير من النظام قد سبق وتضرر في المراحل الأولى من الحرب. لذلك، فقد بدأ حزب الله، عقب الحرب، بعملية متسارعة للحصول على صواريخ طويلة المدى. وكانت خطوة حزب الله الأولى إستعادة مخزون الصواريخ السورية (**220** ملم و **302** ملم) والإيرانية (فجر **3,5**) التي كان يمتلكها قبل الحرب. بالإضافة الى ذلك، إستطاع الجزب بحسب الظاهردعم وزيادة نظامه الإستراتيجي بصواريخ فاتح **110** الإيرانية، التي يصل مداها الى **250** كلم. إنّ هذا النظام من الصواريخ الكبيرة والصغيرة غير محصور بالجنوب، بحسب مصادر لبنانية، فهو منتشر شمال الليطاني، في سهل البقاع، في الشرق، وفي منطقة بيروت، حيث من المنطقي إفتراض ذلك، (مشابه لإنتشار قاذفات صواريخ زلزال في الحرب السابقة).

وتعرض حالة المسائل هذه الى أنّ الجولة المقبلة من القتال ضد حزب الله ستكون كالتالي:

1) عدد أكبر من المناطق تحت تهديد الهجمات الصاروخية: في سياق الحرب المقبلة، ستكون منطقة غوش دان تحديداً والمنطقة الوسطى عموماً أكثر إنكشافاً أمام الصواريخ.

2) المخاطر المحتملة المتعلقة بقواعد عسكرية حساسة خلف الجبهة الأمامية لإسرائيل أكبر: إنّ صواريخ فاتح 110 تعتبر دقيقة نسبياً (CEP 10m) فإذا كان حزب الله قد حصل بالفعل على صواريخ كهذه، فإنّ هذا سيحسن بشكل بارز من قدرته على ضرب أهداف حساسة داخل إسرائيل: مشاريع، مواقع بنية تحتية، قواعد عسكرية، مستشفيات، وما الى ذلك.

3) مواجهة جيش الدفاع الإسرائيلي صعوبات بالتعامل مع تهديد الصواريخ الصغيرة والكبيرة: في الحرب المقبلة، سيواجه جيش الدفاع تحدياً بارزاً وأكثر تعقيداً في التعامل مع قاذفات صواريخ طويلة المدى، وذلك لسببين رئيسيَيْن. الأول هو الإنتشار الواسع جغرافياً لمنصات الإطلاق (سهل البقاع، جنوب لبنان، ومنطقة بيروت) سيلزم سلاح الجو الإسرائيلي بتوزيع وتشتيت مجموعته ومنصاته على منطقة أوسع.أما الثاني فهو تعامل جيش الدفاع مع عدد أكبر من القاذفات، معظمها قابل للإنتشار. وبما أنّ جيش الدفاع كان له نجاح عظيم في الحرب الماضية بتدمير قاذفات صواريخ متعددة الأسطوانات (بسبب خاصيتها المميزة)، فمن الممكن أن يقوم حزب الله بالإعتماد على قاذفات ذات إسطوانة واحدة يمكن إستخدامها لمرة واحدة فقط. لذلك، يمكن الإفتراض بأنه سيكون لدى حزب الله عدد أكبر من القاذفات، في حين لن يكون للمطلق الفردي أهمية عملانية كبيرة.

الحملة البرية: "من المجهود الجوي الى المناورة البرية"

كانت الفرضية العاملة الرئيسية لحزب الله، قبل الحرب الأخيرة، تقول بأنّ جيش الدفاع لن يقوم بحرب برية واسعة في لبنان (أو أنه سيقوم بها كملجأ أخير فقط). وبالواقع أثبتت هذه الفرضية صحتها خلال معظم مراحل القتال. ومع ذلك، فقد إتحد عاملان لتقويض هذه الفرضية.

1) بدأت العملية البرية من قِبَل جيش الدفاع في الأيام الأخيرة من القتال: أثبت إنزال العدد الكبير من القوات قرب نهر الليطاني ودخول عدد كبير من القوات البرية من الحدود الإسرائيلية عن قدرة جيش الدفاع في هذا المجال بالنسبة لحزب الله، ورفع من إمكانية أن يكون هذا النوع من العمليات خياراً أكثر قابلية للتطبيق في الحرب المقبلة.

2) إنكشاف خطط جيش الدفاع العملانية: في سياق الجدل العام ما بعد الحرب في إسرائيل، برزت مواد تفصيلية عديدة حول خطط جيش الدفاع لعملية برية واسعة في لبنان. ومما كُشِف في هذا السياق أيضاً خطة "ماروم ووتر" لجيش الدفاع، نظامه للمعركة (ثلاث فرق) ومفهومه العملاني: عملية برية واسعة ودمج هجمات من إتجاهات عدة، وذلك للسيطرة على المنطقة الواقعة ما بين الليطاني والحدود، مع خيار الإستيلاء على مرتفعات النبطية (المركز الشيعي الأهم والأكبر في لبنان شمال الليطاني).

وبسبب تقييم حزب الله الجديد لأرجحية عملية برية إسرائيلية، فقد بدأت المنظمة بتحضيرات أكثر أهمية لهذا السيناريو. أولاً، لقد عزز حزب الله من وجوده العسكري، بحسب الظاهر، شمال الليطاني. وبإطار العمل هذا، فإنه يعمل على توسيع بنيته التحتية الموجودة كما يقوم ببناء تحصينات جديدة و"إحتياطات طبيعية" (تدعى أيضاً "جيوب دفاعية")– وهو نموذج قاعدة ميدان عسكرية مصممة لتسهيل القتال وإطلاق الصواريخ المحميان من خارج القرى والمناطق المكتظة بالمباني. علاوة على ذلك، فقد أشار أحد التقارير الى أنّ حزب الله، وكجزء من التحضيرات شمال الليطاني، كان يشتري أراضٍ في مناطق مسيحية ودرزية لتعزيز الوجود الشيعي في هذه المنطقة. ومن الممكن أن يكون هذا الأمر مصمماً لتمكين مقاتلي حزب الله من العمل في محيط أكثر أمناً وألفة. ويحدد نفس التقرير أيضاً إحدى أسماء القرى المسيحية الصغيرة وهي "القطراني"، الواقعة على الطريق المؤدي الى سهل البقاع، كواحدة من القرى التي تم شراء قطعة أرض كبيرة فيها. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ ذلك يعرض الى أنّ حزب الله يستعد أيضاً لإمكانية قيام جيش الدفاع الإسرائيلي بحملة برية أكثر توسعاً في الحرب المقبلة في جنوب لبنان وربما حملة أعمق أيضاً بإتجاه سهل البقاع.

ثانياً، لقد عزز حزب الله من إنتشاره المضاد للدبابات. فخلال الحرب، تم ضرب عشرات الدبابات الإسرائيلية بقاذفات مضادة للدبابات. وبالرغم أنه لم يحدث ضرر كبير لبعضها، فقد برهن نموذج الصواريخ المستخدم من قِبَل حزب الله (كورنيت وميتيس الروسيَتَيْن الصنع) عن قدراته التدميرية. وفي بعض الحالات، إخترقت هذه الصواريخ دبابات ميركافا 4 حتى، المعتبرة أفضل دبابة مدرعة في العالم. ويبدو بأن حزب الله، في بعض إستعداداته لمناورة برية إسرائيلية منظورة، قد بدأ يتلقى بعد الحرب كميات كبيرة من الصواريخ المطورة المضادة للدبابات. فدمشق تقوم بتسليم هذه الصواريخ الروسية الصنع الى المنظمة. علاوة على ذلك، إنّ حقيقة توصل سوريا الى صفقة مع روسيا في بداية السنة يعني بأنها ستمكِّن حزب الله، على الأرجح، من زيادة ودعم وتوسيع نظامه المضاد للدبابات بشكل بارز وهام.

ثالثاً، لقد عزز حزب الله من أطر عمله القتالي المسرحي. فكقاعدة، ينتشر حزب الله بشكل وحدة مسرح، ما يعني وحدات عسكرية مسؤولة عن منطقة محددة. فعلى سبيل المثال، هناك وحدة تدعى "نصر" منتشرة في المنطقة الجغرافية الواقعة ما بين إسرائيل ونهر الليطاني، كما هناك وحدتا مسرح منتشرتين شمال الليطاني وفي سهل البقاع. ومن المرجح تماماً أنه بعد فهم حزب الله وتوقعاته لأنشطة جيش الدفاع المستقبلية، فإنه سيتم تعزيز التشكيلات القتالية التابعة لقسم وحدات المسرح بشكل ملموس وجوهري على مستوى مركز القيادة (مثل تحريض جهاز القيادة في القرية عل القتال) وعلى مستوى الوحدة القتالية (زيادة عدد الفرق الصغيرة المضادة للدبابات، تخصيص موارد أكبر لها، وما الى ذلك). وبالرغم من صعوبة الحصول على المعلومات، يبدو هذا التطور أمراً مسلماً به، بضوء التغيير الحاصل في طريقة حزب الله بما يتعلق بتحركات إسرائيل في الحرب المقبلة.

إنّ أهمية كل هذا بالنسبة لجيش الدفاع واضحة. ففي الحرب المقبلة، سيكون حزب الله محضّراً بشكل أفضل، كما سيكون أكثر إستعداداً عقائدياً بما يتعلق ببنيته التحتية البرية وبالأسلحة التي يمتلكها إزاء حملة برية إسرائيلية، حتى بالعمق داخل لبنان (شمال الليطاني وما بعده).

صعوبات إنتشار حزب الله

إنّ عملية إعادة التأهيل العسكري لحزب الله سريعة نسبياً، تحديداً مع التدفق الشديد للأسلحة من إيران وسوريا للمنظمة. وفي نفس الوقت، يبدو أنّ المنظمة قد تغلبت على عدد من الصعوبات في إنتشارها المتجدد ضد إسرائيل. فالصعوبة الأولى والمركزية المحتملة هي إعادة ملأ صفوفه من جديد. فخلال حرب لبنان الثانية، خسرت المنظمة المئات من جنودها (تتراوح التقديرات ما بين 250 الى 600 أو حتى أكثر). إنّ عملية تجنيد وتدريب جندي واحد في حزب الله تستلزم سنوات عديدة وتتضمن فترات مطولة من غرس العقيدة والتدريب المجهد. إذ يتم إختيار جنود حزب الله من الشبان الشيعة، في عملية مطولة، على أساس سلوكهم الأخلاقي وتكريسهم للمبادئ الدينية. أما

بما يتعلق بعملية التدريب المطوّل، وربما كنتيجة لإمتحان الدافع للإنضمام الى صفوفه، يبدو بأنّ لدى حزب الله مشكلة في إستبدال قوته البشرية التي فقدها في الحرب. وهذا الأمر يفسر قبول أعضاء أمل السابقين– المنافس الشيعي لحزب الله– الى صفوف المنظمة، بالإضافة الى قبول متطوعين سنة وشبان شيعة تحت السن. إنّ الإفتقار لقوة بشرية تقنية ومدربة قد يكون السبب في موافقة سوريا على إقتراح إيران بأن تصبح أكثر إنخراطاً في إدارة نظام حزب الله الصاروخي الطويل المدى.

أما الصعوبة الثانية، فتتعلق على الأرجح بتزعزع ثقة إيران التامة بقيادة حزب الله. إذ يبدو بأنّ "المغامرة" التي جر نصر الله منظمته وكل لبنان إليها قد أغضبت الكثيرين في طهران. فالحرب أدت الى تدمير البنية التحتية العسكرية، البشرية والسياسية للمنظمة. أما الأسوأ، فهو أنها كشفت أمام العالم الأسلحة الإستراتيجية التي كانت بحوزتها. فمن المنظور الإيراني، ربما كانت هذه الصواريخ الطويلة المدى محددة للإستخدام كرد على هجوم إسرائيلي أو أميركي على أرضها، وليس لتبادل إطلاق نار بين حزب الله وجيش الدفاع الإسرائيلي. وبذلك، قد تكون القيادة الإيرانية تسعى الى زيادة مراقبتها لقيادة حزب الله، حتى أنها قامت بنشر أنظمة قيادة وتحكم جديدة في لبنان لهذا الغرض. إنّ وضع ضباط إيرانيون في مختلف مستويات حقول المنظمة قد يكون أيضاً، في جزء منه، إشارة لهذه العملية.

وتنضم هذه الصعوبات الى التعقيدات المتمثلة بوجود القوات الدولية واللبنانية على الحدود مع إسرائيل. علاوة على ذلك، يواجه حزب الله معركة شاقة في إعادة تأسيس مركز المنظمة في ضاحية بيروت. فتدميره كان عبارة عن نسف شديد لبنية المنظمة التحتية. وخلال فترة إعادة الإعمار الطويلة، سيكون على حزب الله العمل من مراكز قيادة مؤقتة ومن ملاذات آمنة.

الحرب المقبلة على المسرح اللبناني

بالرغم أنه لم يكن لإنتشار القوات الدولية واللبنانية في الجنوب اللبناني تأثير كبير على إنتشار حزب الله العسكري وإسترداده لقدراته العسكرية، كان لدى المنظمة مشكلة في المحافظة على وجود عسكري علني على الحدود. كما دُمِّر عدد من مواقعه وبناه التحتية في المنطقة أو تم التخلي عنها. فبدلاً من المنطقة العملانية التي فقدتها قرب الخط مع إسرائيل وعلى خط التماس، بدأت المنظمة تعزيز وجودها في العمق داخل الجنوب اللبناني وفي المنطقة التي تتخطى الليطاني. لذلك، وفي الحملة المقبلة، لن يكون للمنظمة سوى وجود أكثر محدودية على الحدود، الأمر الذي سيتيح لجيش الدفاع الإسرائيلي بعض الحرية بالعمل في لبنان قرب السياج الحدودي. وعلى كل حال، لا يزال عملاء حزب الله يحتفظون بوجود عسكري ضخم (رغم أنهم أكثر حذراً وسرية) في القرى في الجنوب، وتحديداً الشيعية منها.

وعلى كل حال، إنّ المسألة الأكثر إلحاحاً هي إتصال المنظمة مع سوريا وإيران، اللذان يعتبران شريان الحياة المالي، اللوجستي والعسكري لحزب الله. فمع مساعدتهما، تعيد المنظمة، بناء قدراتها العسكرية المتضررة في الحرب. وتلح" هيرين ليست" على إلزامية النشاط الديبلوماسي، سواء مع القوة العسكرية أو بدلاً عنها. فمن دون وضع نهاية لإتصال حزب الله– سوريا/ إيران، يبدو عمق ومدى النشاط العسكري الإسرائيلي غير مهم تقريباً، بما أن حزب الله سيعيد، في كل الأحوال، بناء قوته بغضون أشهر قليلة ما إن ينتهي القتال.

وبما أن الحقيقة تقول بأنّ المنظمة تمثل بالواقع معظم الشيعة في لبنان فإن ذلك يعطيها قاعدة سياسية وإجتماعية يمكن الإعتماد عليها، قاعدة تتجاوز النطاق العسكري الصرف. وبالممارسة، فإنّ فشل إسرائيل، الحكومة اللبنانية والمجتمع الدولي بقطع الرابط الموجود بين حزب الله والداعمَيْن الإيراني والسوري له من خلال إما وسائل عسكرية أو ديبلوماسية، يعقّد أية محاولة لخلق واقع مختلف في لبنان، خاصة في الجنوب اللبناني.

وقد نجح حزب الله، حتى تاريخه، بعملية إعادة التأهيل العسكري والإستعدادات الحقيقية للمستقبل. ويُتوقع من الحملة المقبلة مع حزب الله أن تماثل سابقتها الى درجة ما: قصف صاروخي للجبهة الأمامية الإسرائيلية، رد جوي إسرائيلي شديد، وربما عملية برية أكثر إتساعاً من

تلك التي تمت في الماضي. وبالرغم من العملية الضخمة لحزب الله بإعادة بناء نفسه ، فمن المرجح أن يمكن فهم جيش الدفاع الإسرائيلي لهذه العقيدة العملانية من التغلب على المنظمة بشكل أفضل في الحرب المقبلة. إذ يمكن الإستشهاد، بشكل خاص، بعدد من توجيهات الخطط التي من المرجح أن تقلب التوازن العملاني. إنّ الحرب مكونة من عدد من الأبعاد: المجال، الوقت، الأهداف، طرق الحرب، والوسائل التكتيكية. ويمكن مجابهة المنظمة بردود فعل جديدة لكل بعد من هذه الأبعاد.

1) **الوقت والمجال:** يجب مفاجأة حزب الله، على الأقل في بداية القتال. ويجب أن يتضمن هجوم ما معظم ممتلكات المنظمة المادية: مراكز قياداته، قواعده، ومنازل كبار عملائه. ويجب أن يحصل القتال نفسه خلال النهار لتوليد عدد من نقاط الإحتكاك، قدر الإمكان، بين جنود جيش الدفاع الإسرائيلي، الذين هم بمعظمهم من ذوي الكفاءة الأعلى، وبين جنود حزب الله. ولا يجب أن تتضمن أرض المعركة الجنوب فقط، وإنما مناطق لا تتوقع المنظمة حصول دخول بري إسرائيلي حقيقي مثل بعلبك وبيروت نفسها. يجب أن تكون هذه المناطق خاضعة لنوع من أنواع الهجوم البري الإسرائيلي في المراحل الأولى من المواجهة.

2) **الأهداف:** قد يكون هذا هو الجانب الأهم. فإفتقار جيش الدفاع للنجاح في الحرب السابقة في لبنان في ضرب قيادة المنظمة الرفيعة، عدا قيادتها السياسية، كشف عن ضعف هام. علاوة على ذلك، إنّ حقيقة تمكن حزب الله من تدبر مسألة توقيت إطلاقه للصواريخ (زيادتها وإنقاصها) خلال كل مرحلة من مراحل القتال أظهر بأنّ جهاز القيادة والتحكم التابع للمنظمة لم يكن متضرراً بشكل حقيقي. ولذا، يجب أن تكون جهود الإستخبارات الإسرائيلية مركزة على الأهداف، بحيث يكون بالإمكان، في الحملة المقبلة ضد المنظمة، تحييد فريق العمل القيادي الرفيع ومراكز التحكم في جنوب لبنان وأي مكان آخر. أما النموذج الآخر للأهداف الواجب الإنكباب عليه، فهي البنية التحتية للدولة اللبنانية. ففي الحرب السابقة، كانت هذه الأهداف محظورة. وفي نفس الوقت، من المرجح أن يتسبب مهاجمة بعضها، على سبيل المثال الكهرباء والوقود في مناطق معينة، بصعوبات لحزب الله بما يتعلق بإدارة حملة منتظمة، وسيكون له هذا التأثير بالتأكيد إذا ما كان القتال مطوّلاً.

3) **أساليب الحرب:** بالإضافة الى دخول كتائب المشاة والمدرعات، فإنه يجب تطوير طرق جديدة ومبتكرة، وذلك للتعامل، وبشكل رئيسي، مع إنتشار واسع للصواريخ وتبعثرها على إمتداد مساحة لبنان. فعلى سبيل المثال، بالإمكان إشباع مناطق منصات إطلاق بعيدة بقوات صغيرة (سهل البقاع، منطقة بيروت)– فرق خاصة– مع قدرات إستخبارية وقوة نارية مستقلة، ربما كتلك المستخدمة من قِبَل البريطانيين والأميركيين في أفغانستان وغرب العراق في حرب الخليج 1991. فالقوة الجوية ستجد من الصعوبة بمكان توفير رد فعال بنفسها لكل مناطق إطلاق الصواريخ.

4) **الوسائل التكتيكية:** إنّ هذا المجال معقد تماماً ويتطلب تحليلاً منفصلاً. لكن سيكون على إسرائيل هنا أن تبتكر مفاجآت بالتأكيد، على سبيل المثال، وسيلة توفر طريقة أفضل للتعامل مع إنتشار المنظمة في مناطق مفتوحة، تحديد مكان الصواريخ قبل إطلاقها، تحديد وتدمير مراكز القيادة والتحكم وإجراءات أخرى كهذه.

وبالختام، لم تكشف الحرب الأخيرة في لبنان عن نقص بالجهوزية في جيش الدفاع الإسرائيلي بما يتعلق بالتعامل مع حزب الله فقط، وإنما عن إفتقار للنجاح في التحضير لنموذج حرب مختلفة يمكن توقعها في المنطقة في المستقبل: نزاع ضد عدو يفتقر، جزئياً، الى الشكل المألوف

للفرق والكتائب، مسارح المعارك المشبعة بأسلحة مضادة للدبابات، والقتال الذي يحدث على الجبهة وفي الخلف في آن معاً. ويشكل هذا الجانب، بالواقع، فرصة بالنسبة لجيش الدفاع الإسرائيلي ليس فقط لفهم طبيعة الحملات المقبلة من حيث المبدأ، وإنما أولاً وقبل كل شيء، إستيعاب التغييرات الحاصلة بطبيعة هذه الحرب، والإستعداد بشكل أكثر فاعلية على المستويَيْن العقائدي والعملاني.

Research Services Group
www.ipileb.com